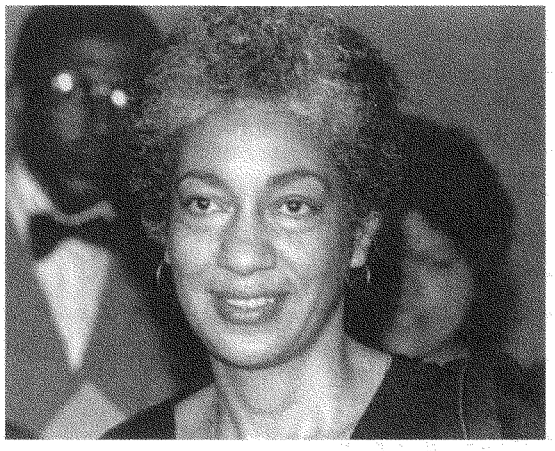

حوار مع جُون جوردان

▪ الصراع العربيّ ـ الإسرائيليّ ▪

جون جوردان أستاذة الدراسات الأفريقيَّة الأميركيَّة ومديرةُ برنامج «الشِّعر للناس» في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وهي شاعرة وكاتبةُ مقالاتٍ، وحازت جوائزَ عدّة. منْ كُتُبِها: صعوبات تقنيَّة، الشعرُ للناس، هاروكو ـ قصائد حبّ. صَدَرَ لها مؤخّرًا كتابٌ بعنوان الجنديّ، وهو مذكّراتٌ عن طفولتها.

دايفيد برسميان واحدٌ من أشهر المُحاورين التقدُّميِّين في العالم. أَصْدر عدّة كتب تتضمَّن حواراتٍ طويلةً، أشهرُها تلك التي أجراها مع إدوارد سعيد، ونوم تشومسكي، وإقبال أحمد، وهوارد زِن. وقد أُجري الحوارُ مع جوردان قبل أحداث ١١ أيلول. ويُنْشَر مُترجمًا في الآداب باتّفاقٍ خاصّ مع برسميان. وقد أجّلنا نشرَه قليلاً لأنَّه يَنْدرج في كثير من مقاطعه مع الملفّ الرئيسيّ في هذا العدد.

أجرى الحوار: دايفيد برسميان
نقله إلى العربيَّة: سماح إدريس

ما هي نظرتُكِ إلى الوضع الحاليّ في الشرق الأوسط؟

هناك سؤال يَنْبغي أن يُطْرح ولم يُعالَجْ إلى الآن، وهو الخاصّ بالسلطة الأخلاقيَّة. ليت الأشخاص الذين يَعْملون مع السلطة الفلسطينيَّة يركِّزون على التالي: كيف تُبْنى سلطةٌ أخلاقيَّةٌ في الوعي الدوليّ؟ ما هي الوسائلُ لتحقيق هذه الغاية؟ قد تَبْدأ بغاندي، وتصل إلى د. مارتن لوثر كينغ. وسيَكون هناك بعضُ السوابق المفيدة لتأسيس سلطة أخلاقيَّة تؤدِّي إلى رافعةٍ ما لصالح الناس الذين يعانون الظلمَ معاناةً جليّة. أتساءل كيف يُمْكن تَتَبُّعُ أَثَرِ هذه السلطة الأخلاقيَّة؟ ليت عددًا

كبيرًا من الناس يَبْدأون بالتفكير في هذا. لديَّ أنا شخصيّاً بعضُ الأفكار بصدد ذلك. فمثلاً، لو كنتُ عرفات لحاولتُ أن أحدِّد موعدًا أخيرًا وألتزمَ به. فلنقُلْ خمسةَ أيام ابتداءً من هذا اليوم، وخلال هذه المدّة على فريق المراقبين الدوليِّين أن يكون عند كل نقطةٍ أَطْلب منه أن يكون عندها داخل الأراضي المحتلّة، ودون أن يُهَيْمِنَ على هذا الفريق أميركيُّون أو ممثِّلون عن الولايات المتحدة. «فإذا تخطَّيْتم هذا الموعدَ النهائيّ، أيْ إذا لم يأتِ المراقبون خلال الأيام الخمسة المحدّدة، فإنَّني سأفعل هذا الأمر أو ذاك الأمرَ أو أمرًا ثالثًا آخر.» سيكون أمرًا مفيدًا حقّاً أن يحدِّد عرفات موعدًا نهائيّاً ما من أجل إدخال مراقبين حياديِّين ودروع بشريَّةٍ إلى الأراضي المحتلّة. فإذا لم يَسْتجب المجتمعُ الدوليُّ، ولاسيَّما الاتِّحادُ الأوروبيّ، أو إذا قامت الولاياتُ المتّحدة بمنع تنفيذِ هذا الاقتراح، فعلى عرفات أن تكون لديه خطةٌ بديلة. وضمن سياق تأسيس سلطة أخلاقيَّة أَعْتقد أنَّ عليه في مثل هذه الحال، مثلاً، أن يقول شيئًا من قبيل: «لقد حاولنا. نحن ما فَتِئْنا نطالِبُ بقوَّةٍ ثالثة منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٠. وهذا أمر موثَّق. ولمّا لم نَسْتطع أن نَحْصل على ذلك، وكان شعبُنا يَخْتنق كما هو عليه الأمرُ الآن، فإنِّي أعتقد أنْ لا مهربَ لنا سوى الإعلان أنَّنا في حربِ تحريرٍ ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ لأرضنا.» وعليه بعدها أن يَلْتفت صوبَ الاتحاد الأوروبيّ ويَطْلبَ دَعْمَه لخوض حربِ تحريرٍ ضدّ احتلال بلاده. وأمّا إضاعةُ الوقت، وذلك الموعدُ الضبابيّ الذي لا نهاية له، وكلاهما يجسِّدهما عرفات بسياساته، فهما يسيئان إلى شعبه وإلى حاجات الفلسطينيِّين. إنَّ الأطفال يموتون، والرجالَ والشبّان في الأراضي المحتلّة يَهْلكون، والقادةَ يُغْتالون بشكلٍ ممنهج. فمتى يقولُ المرءُ كفى ويتصرَّف بطريقةٍ تحقِّق مستلزماتِ السلطة الأخلاقيَّة؟ تلك كانت فكرةً من الأفكار التي لديّ في هذا الشأن.

باستطاعة الناس في أميركا أن يتحدَّثوا عن أيّ شيء، ولكنَّهم لا يستطيعون أن يقولوا «عربيّ»

لقد كانت للفلسطينيِّين صعوبةٌ هائلةٌ في إثبات قضيَّتهم في الولايات المتحدة. إلامَ تردّين ذلك؟

لعلّ اللُّوبي الصهيونيّ في هذه البلاد لا نظيرَ له في التاريخ الأميركيّ من حيث التأثيرُ اللامتكافئ الماثل في التباين بين صِغَرِ نسبة الصهاينة إلى الشعب الأميركيّ من جهة، والالتزاماتِ الماليَّةِ والسياسيَّة الهائلة التي يَسْتطيع هذا اللُّوبي أن يوفِّرَها ويتحكَّمَ بها من جهة ثانية. لا أعرف إنْ كان ثمّة سابقةٌ تُشْبه ذلك في تاريخ الولايات المتحدة. وأنا أقول «لوبي صهيونيّ» لا «يهوديّ» لأنَّ هناك أعدادًا متزايدة من اليهود الأميركيِّين يريدون إنهاءَ الاحتلال الإسرائيليّ، وهم صريحون في عدائهم له. ايرينا كلَيفتز واحدةٌ من هؤلاء. ومايكل ليرنِرْ من مجلة **تيكون** مثالٌ آخر. هناك عدد كبير من اليهود الأميركيِّين يُدْركون حقّاً أنَّ الاحتلال الإسرائيليّ باطلٌ وشريرٌ وشنيعٌ وأنَّ عليه أن يتوقَّف. ولهذا أقول «صهيونيّ» [لا «يهوديّ»]. واحدةٌ من الصعوبات التي نواجهها الآن في أوساط المجموعات التقدُّميَّة هي أنَّ الناس هم من اليأس حيالَ فَهْم ما يَحْدث في الشرق الأوسط بحيث يميلون أحيانًا إلى أن يَخْلطوا الإسرائيليِّين بحكومتهم، ويَخْلطوا كَلَّ اليهود بالإسرائيليِّين. وهذا أمرٌ يُقْلِقُني. فتحديدًا حين تكون الأمورُ بهذه الحدّة يَنْبغي على التقدُّميِّين منّا، الذين يريدون حقّاً أن يُثْبتوا أنَّهم يتمتَّعون وإنْ بالدرجة الدنيا من النزاهة الأخلاقيَّة، أن يحاولوا أن يكونوا أدقَّ ما يَسْتطيعون، فلا يَنْخرطوا في تكتياتٍ تنميطيَّة افترائيَّة تصنِّف أولئك الناسَ الذين نحاول أن نُزيحهم عن مراكز السلطة.

هناك عاملٌ آخر، وهو أنَّه عدا الإعلام البديل [المنشقّ عن الإجماع السائد] في هذه البلاد، فإنَّ المعلومات تتناقصُ إلى أبعدِ حدٍّ. وبصراحة، فإنِّي ما انفككتُ أتابع عن كثبٍ الوضعَ برمّته، ومأزقَ الشعب الفلسطينيّ منذ عام ١٩٨٢. غير أنَّني لم أَطّلعْ على خارطةٍ ما يَحْدث إلاَّ هذا العامَ. فقد نُشرت الخارطةُ في جريدة **نيويورك تايمز**، لا في يومٍ أحدٍ حيث يكون انتشارُها أكبرَ بكثير، ولم تكن على الصفحة الأولى. ما إنْ ترى حقّاً خارطةً ما نتحدَّث عنه، أيْ خارطةَ نابلس ورام اللّه وإلى ما هنالك، وترى أنَّ الاقتراحات الإسرائيليَّة تؤدِّي إلى بانتوستانات فلسطينيَّة، حتى لا تَبْقى حاجةٌ إلى قول الكثير. وفي غياب مثل هذه المعلومات سيكون شاقّاً أن تحاولَ أن تَجْتذبَ وأن تثقِّفَ التوجُّهاتِ السائدةَ والنشاطيَّةَ السائدةَ من أجلِ وقفِ ما يَحْدث فورًا.

ما الذي حصل عام ١٩٨٢ ليوقِدَ اهتمامَكَ بالقضية؟

عام ١٩٨٢ غَزَتْ إسرائيلُ لبنان. اتَّصلتْ بي ڤيڤيان سترومبرغ من «مادره،» وهي منظّمةٌ غيرُ حكوميَّة مركزُها في نيويورك. كنتُ في عطلة. بدأتْ تُخْبرني بما يَجْري، ورحتُ أتحقَّقُ منه. قال الإسرائيليُّون أوَّل

الأمر إنَّ الفلسطينيِّينَ قَتلوا السفيرَ الإسرائيليَّ [في لندن]. ولكنَّ هذا لم يَكُنْ صحيحًا. كلُّ ما قالته الحكومةُ الإسرائيليَّة لتبرير اجتياحها للبنان نُشِرَ على الصفحة الأولى من **نيويورك تايمز**.† وكان كلُّ قولٍ من أقوال الحكومة باطلاً. ولكنْ لم يتمّ إنكارُ أيٍّ من هذه الأقوال الخاطئة. وهذا كان أمرًا مجذِّرًا (مُرَدْكِلاً) بالنسبة إليّ، إلى حدٍّ أنَّني لا أَعْتقد أنَّ شيئًا في حياتي رَدْكَلَني إلى ذلك الحدّ في تلك الفترة من حياتي، باستثناءِ ما يُسَمَّى «أحداثَ الشَّغَب في هارلم» عام ١٩٦٤ لأنَّني كنتُ هناك ورأيتُ ما جرى: رأيتُ كيف تعاملتْ وسائلُ الإعلام الأميركيَّة مع الحَدَث. وكان ذلك هو الشيءَ الوحيدَ الذي تُمْكن مقارنتُه [بتعامل الإعلام مع اجتياح لبنان]. لقد كنتُ إزاء ما تقوله الحكومةُ الإسرائيليَّةُ من ناحية، وما يَحْدث حقّاً أو لا يَحْدث من ناحية ثانية. ثم توغّلتْ هذه الحكومةُ في لبنان حتى وصلتْ إلى بيروت. وحصل تأوُّجٌ مُريعٌ للغزو في صبرا وشاتيلا.

هذان مخيَّمان فلسطينيَّان قُتِلَ فيهما حوالى ٢٠٠٠ فلسطينيّ ولبنانيّ على يد القوات الكتائبيَّة حليفةِ إسرائيل. وفيما بعد وَجَدَتْ لجنةٌ إسرائيليَّة [لجنةُ كاهان] الجنرال شارون ضالعًا في ما حدَثَ.

زمن صبرا وشاتيلا هو الذي شهِدَ انخراطي في العمل السياسيّ

ما حدث هو أنَّ ذَبْحَ اللاجئين الفلسطينيِّين في هذا المكان البالغ الفقرِ في بيروت لم يَكُنْ ليتمَّ لو لم يطوِّقِ الجنودُ الإسرائيليُّون المخيمَيْن ويسلِّطوا أضواءً هائلةً عليهما لكيْ يكون في مقدور رجال الكتائب أن يروا الرجالَ والنساءَ والأطفالَ فيقتلوهم. كما أنَّ الإسرائيليِّين جَرَفوا بالدبّابات جُثَثَ المدنيِّين الأبرياء المذبوحين. ذلك الزمن هو الذي شَهِدَ انخراطي في العمل السياسيّ. وواحدٌ من الأسباب الذي يُبْقيني منخرطةً فيه هو تساؤلي: «أين كلُّ الآخرين؟» لقد بدا أنَّ مأساة الشعب الفلسطينيّ هي الحرْمُ (التابو) الوحيدُ في أميركا الذي لا يجرؤ أحدٌ على خَرْقه. إنَّ باستطاعة الناس أن يتحدَّثوا عن كلِّ شيء، بما في ذلك سِفاحُ القُرْبى، ولكنَّكَ لا تستطيع أن تقول كلمةَ «عربيّ.»

يستطيع المرءُ هنا أن يقول «إرهابيّ عربيّ.»

ولكنَّكَ لا تَسْتطيع أن تقول كلمة «عربيّ» وتَعْني «أميركيّ [من أصل] عربيّ» بالنَّفَس الذي تَسْتطيع أن تقول فيه «أميركيّ [من أصل] صينيّ،» أو «يهوديّ أميركيّ.» إنَّ كلمة «عربيّ» هي لقبُ مَنْ لا يحقّ له أن يتمتَّعَ بحقوق الإنسان الإنسانيَّة. وأَعْني حقوقًا أوليَّةً جدّاً، مثلَ حقِّكَ المقدّس في الماء وفي زيتوناتك الخمس.

إنَّني أتحدَّث عن أشياء بالغةِ التواضعِ هنا. هذه الحقوق الإنسانيَّة المتواضعة لم تُعطَ الشعبَ الفلسطينيَّ قطّ. الوضع الآن ليس بكآبةِ ما كان عليه سابقًا، ولكنَّه مازال من المعيب أنَّ الأشخاص الذين هم رفاقي يَهْربون من الموضوع، فلا ينبسون ببنت شَفَة، بل يقول الواحدُ منهم: لا أَسْتطيع أن أفعل ذلك [أي الحديثَ عن المأساة الفلسطينيَّة] أكثرَ من مرّةٍ واحدة في الشهر. إنّ الأمر محزنٌ أكثر ممَّا يَنْبغي؛ ويُمْكن فَهْمُ ذلك، ولكنْ لا يُمْكن الدفاعُ عنه أخلاقيّاً. أَعْتقد أنَّ علينا أن نتحدَّث عن الطبيعة العنصريَّة للاحتلال الإسرائيليّ، وعن اغتصابه للأرض وللحقوق الفلسطينيَّة.

كيف يَخْتلف الاستعمارُ الإسرائيليّ للأرض الفلسطينيَّة عمّا فعله البريطانيُّون في شرقيّ أفريقيا أو الفرنسيِّيون في شمالي أفريقيا؟

أَعْتقد أنَّ ما قلتُه آنفًا هو وسيلةٌ لتأسيس سلطة أخلاقيَّة. ومن جديد أرى أنَّ كثيرًا من الناس لا يَعْرفون هذه الأمور.

لِمَ لا؟ أيَعود ذلك إلى وسائل الإعلام؟

الإعلامُ من جديد، ولهذا أنا سعيدة جدّاً بالتحدُّث إليكَ. التوازيات بين جنوبيّ أفريقيا وما يسمَّى أزمةَ الشرق الأوسط ليست سطحيَّة، بل تتشابه في كل المعايير. وعلى الناس أن يَجْعلوا هذه الأمور من المَدارك العامّة. في جنوبيّ أفريقيا كما في إسرائيل، أنت إزاء أقليَّة صغيرة جدّاً من الناس خَصُّوا أنفسَهم بأفضلِ الأراضي وكلِّ الثروات. وأمَّا الآخرون، أصحابُ الأراضي الأصليُّون، فيُعدُّون في أحسن الأحوال تهديدًا مُبْهمًا للناس الأخيار والمحترمين حقّاً. إنَّ العَرْض الإسرائيليّ ببناء حكم ذاتيّ فلسطينيّ داخل الأراضي المحتلّة يُشْبه شبهًا كبيرًا عروضَ نظام الفصل العنصريّ في جنوبيّ أفريقيا

(الأپارتايد) ببناء بنتوستانات؛ ففي فلسطين أيضًا تجد ذلك النموذجَ المنقّطَ والمفكَّكَ الأوصالِ من الكيانات، وهو نسق يتسبَّبُ في تشتيت الناس لكيْ لا يَلْتقوا سياسيّاً بل لكيْ لا يَذْهبوا إلى المدارس. هناك امرأة فلسطينيَّة جاءها المخاضُ، ولكنَّها أُجهضتْ لأنَّها لم تَسْتطع الوصولَ إلى المستشفى بسبب حواجز التفتيش الإسرائيليّة المختلفة التي كان عليها أن تَعْبرها. وهذه جرائم لا يُمْكن التسامحُ معها. هذه ليست جرائم ارتكبها أفرادٌ، بل هي انتهاكاتُ شعبٍ خطّطتْ لها الدولةُ الإسرائيليَّةُ وأجازتها.

أتفرّقين بين هذه الأعمال التي أجازَتْه هذه الدولةُ، والأعمالِ الفرديّة التي يقوم بها، مثلاً، شخصٌ يَضَعُ قنبلةً في مطعم پيتزا أو ديسكو؟

إنَّ هذا فرقٌ يجب أن نفكّر فيه، ولكنْ بسرعةٍ وعلنًا. وأنا ما فتئتُ أفكّر على هذا النحو، لأنَّني شهدتُ ثورة الحقوق المدنيَّة في هذه البلاد. هناك فرقٌ بين عنفٍ تخطّط له الدولةُ وتجيزه الدولةُ وتنفّذه الدولةُ ضدّ قسمٍ معيَّنٍ من الشعب، وعنفٍ يمارسه فردٌ أو أفرادٌ. يجب أن يكون ذلك واضحًا. هناك فرق هائل بين أن تَمْتلك صواريخَ ودبّاباتٍ وطائراتٍ مروحيَّةً من طراز «أپاتشي،» وأن تَمْتلك حجارةً وبضعَ بنادق. وأنا أتحدَّثُ عن فوارق هائلة، كالفرق بين الحياة والموت. وبالعودة إلى مقولة «السلطة الأخلاقيَّة» أرى أنَّه سيكون أمرًا جيِّدًا أن يقول عرفات إنَّ الشعب الفلسطينيّ أَعْلن أنَّه في حربِ تحريرٍ ضدّ هذا الاحتلال غير الشرعيّ، وأنْ يقول هذا الشعبُ «الآن» فتحصل أعمالُ إزالة الاحتلال بطريقة منظّمة ومتّسقةٍ ووفقًا لأعراف جنيف الدوليَّة. فمثلاً لن يكون هناك عنفٌ أُجيزُه [أنا عرفات] في مناطق ١٩٤٨. لن يكون هناك تفجيراتٌ في مطاعم پيتزا أو في ملاهي ديسكو. وبكلماتٍ أخرى، إنْ كنا نَعْترض ـ ونحنُ كذلك وبالمُطْلق ـ على إفناء حياةٍ مدنيٍّ ما فعلَيْنا أن نَعْترض على ذلك الإفناء بغضّ النظر عن هويّة هذا المدنيّ. وهكذا نكون إزاء ردّ متّسقٍ من أجل إنهاء الاحتلال الإسرائيليّ. وهذا يَعْني أنَّه لن يكون لدينا أفرادٌ يتصرَّفون بسبب يأسٍ ناجمٍ عن الفقر ـ وهو تصرُّفٌ يُمْكننا فهمه ولكننا لا نَسْتطيع إجازتَه بالتأكيد.

سياسة توزيع أموال ضرائب الأميركيين على العالم سياسة عنصريَّة

الولايات المتحدة هي أقوى حليفٍ لإسرائيل. فهي تزوّدها ببلايين الدولارات على سبيل المساعدات، فضلاً عن دَعْمها السياسيّ والديبلوماسيّ. لماذا إذنْ يبدو بعضُ العرب عامّةً، والفلسطينيُّون خاصةً، مأخوذين بالأميركان وشديدي التأثُّر بهم ويريدون أن يكونوا ضالعين في إعادةِ تشغيلِ ما يُسمَّى بعمليَّة السلام؟ لِمَ يَدْعون الدُّبَّ إلى كَرْمِهم؟

عليّ أن أَعْترف أنَّ هذا يحيِّرني. بعضُ الدول العربيَّة عاهرات. فهي تتلقّى كميَّةً ضخمةً من المال والدَّعم من حكومة الولايات المتحدة. ولهذا فإنَّ دَعْمها للولايات المتحدة ليسَ ممّا يَصْعب فَهْمُه. إنَّ بعض الدول العربيَّة عاهراتٌ مأجوراتٌ. ولكنّ ثمّة أمورًا أكثرَ تعقيدًا في هذه المسألة. فحين يفكّر معظمُ الناس في العالم في الولايات المتحدة، يفكّرون في حقوقٍ مساويةٍ لجميع الناس، وفي حريّةِ الصحافة، وفي حُرْمةِ البيوت، وفي أنَّ الولايات المتحدة هي المكان المرتجى. من زيمبابوي إلى تايلاند ثمَّة كثيرٌ من الناس يَرْبطون بين الولايات المتحدة ونشوءِ هذه الأفكار والممارساتِ [التحرُّريَّة]؛ فإذا وَصَلوا بطريقةٍ ما إلى الأميركان فإنَّ هؤلاء، كما يظنُّون، سيَدْعمون تحرُّكاتِهم وصيحاتِهم المطالبةَ بالعدالة.

لا أَعْتقد أنَّ ما قلتُه للتوّ نابعٌ كليّاً من غريزةٍ ساذجة. أُقسم أنَّ ما أقوله نابعٌ من تجربتي في العيش هنا.

أتقولين إنَّ الولايات المتحدة يُمْكن أن تكون وسيطًا شريفًا في النزاع بين الفلسطينيِّين والإسرائيليِّين؟

أنا لا أقول ذلك في ما يخصّ أحدًا من إدارة بوش أو إدارة كلينتون. ولكنَّ هناك أناسًا آخرين في هذه البلاد، أميركيِّين من مختلف الألوان والإثنيّات، وإنِ استطَعْنا تنظيمَ أنفسنا فإنَّنا نَقْدر أن نَصْنع شيئًا. أنا لا أتحدَّث عن أشخاص يذهبون إلى كامپ دايڤيد. أنا أتحدَّث عن إمكانيةِ تلاقينا لنقول: «أَوْقِفوا المساعدات لإسرائيل. هذه المساعدات يجب أن تكون مشروطةً، شأنَ المساعدات التي نقدِّمها لبلدان أخرى.» فمادام الإسرائيليُّون يَرْتكبون جرائمَ الحرب هذه ضدّ الفلسطينيِّين، وما داموا يواصلون هذه الانتهاكات لقرارات الأمم المتحدة، فلا مساعداتٍ أميركيَّةً لهم. هكذا، بكل صراحة. ونحن قادرون على ذلك. ولكنْ علينا أن ننظِّم أنفسَنا. وواحدٌ من الأمور التي علينا أن نَفْعلها هو أن نبيِّن الطبيعةَ العنصريَّةَ للتاريخ الاستعلائيّ الإسرائيليّ في الشرق الأوسط. فما إنْ يتوضَّح ذلك حتى يهْرَع كثيرٌ من الجبناء قُدُمًا. وهذا ـ والحقُّ يقال ـ نضالٌ تحرُّريٌّ آخر، وهو ذو بنيةٍ تأخذ في الاعتبار أعراقًا متعدِّدة.

ذهبتُ إلى إسرائيل مرّات عدّة. إنّها بلد مزدهرٌ جداً. دَخْلُ الفرد فيها يتجاوز ١٨ ألف دولار سنوياً. وهي أفضلُ اقتصادياً من عدّة دول أوروبيّة. ولكنّها تنال مليارات الدولارات من الولايات المتحدة على سبيل المساعدة. ويَتَزامن ذلك مع حقيقةِ أنّ رزْمة المساعدات التي تقدّمها الولاياتُ المتحدة إلى الدول الواقعة جنوبيّ الصحراء الأفريقيّة قاطبةً هي ٧٠٠ مليون دولار فقط.

إنّ ما تقوله شعارٌ بسيطٌ وواضح وجديرٌ بأن يُعمّم. فإذا استطعنا أن نُعْلن مثلَ هذه المعلومات فسيكون ذلك بمثابةِ قنبلة. سيَصْرخ كثيرٌ من الناس: «واعجبًا!» حين نتحدّث عن تلك المنطقة فإنّنا بإزاء محوٍ لمعظم هذه القارة. ومرض الإيدز عاملٌ أساسيٌّ في ذلك. الولايات المتحدة تحاول أن تَبْدو خَيِّرةً جداً، من خلال حديث كولن باول [وزيرِ الخارجية] عنها. وربّما استَطَعْنا رَفْعَ مساعداتنا مئتيْ مليون دولار من أجل أن نَفْعل شيئًا لمكافحة الإيدز. قد نستطيع ذلك. ولكنّ الأمم المتحدة تقول إنّ ما بين ٧ إلى ١٠ بلايين دولار سنوياً هو ما تتطلّبه معالجةُ هذه الأزمة. وإسرائيل، إنْ لم أكن مخطئة، تَحْصل من الولايات المتحدة على أكثر من ٣ بلايين دولار، وهذه الأموالُ هي أموالي أنا، ولأيّ سبب؟ إنّ [سياسةَ توزيع الأموال الأميركيّة سياسةٌ] عنصريّة. إنّها مثال آخر على ما هو شديدُ التعيين ويتعلّق بالجهل. فإذا استطعنا أن نخفّف من هذا الجهل فإنّ ذلك قد يُسْهم في تأسيس سلطةٍ أخلاقيّةٍ للنضال الفلسطينيّ برمّته.

وبالمناسبة، لنُعِدْ توزيعَ الأموال الناتجة عن ضرائبنا حين يتعلّق الأمرُ بالمساعدات الخارجيّة. لا أَعْتقد أنّ على مالِ ضرائبي أن يَذْهب إلى أيٍّ كان من دون أيّ شروط. هذه مشكلةٌ هائلة. إنّ عدد سكّان تلك الدول الواقعة جنوبيّ الصحراء الأفريقيّة يَبْلغ ٧٠٠ مليون تقريبًا، وهم يتلقّوْن ٧٠٠ مليون دولار من المساعدات الأفريقيّة، أيْ أنّهم يتلقّوْن دولارًا واحدًا لكلّ فرد. وأمّا إسرائيل فسكّانُها ستة ملايين، بما في ذلك عربُ إسرائيل، ولكنّهم يتلقّوْن ٣ **بلايين** دولار سنوياً!

المبلغ الحقيقيّ الذي تتلقّاه إسرائيل من ضرائب أموال الأميركيّين هو ٥ بلايين دولار، بحسب الأستاذ رشيد خالدي من جامعة شيكاغو. وهذا المبلغ يتضمّن كلّ التقديمات المعطاة إلى الأسهم الحكوميّة الإسرائيليّة وإلى الجمعيّات الخيريّة الإسرائيليّة من قِبل الأميركيّين، مقابلَ عدم دفع هؤلاء ضرائبَ إلى حكومتهم عن هذه التقديمات.

فكيف تكون حساباتُ ذلك، إذن؟ إذا قَسَمنا ٥ بلايين دولار على ٦ ملايين إنسان، فماذا سيجني كلُّ فرد؟ لسنا في هذه الحال إزاءَ لامساواةٍ فحسب، بل نحن إزاء توزيعٍ للأموال العامّة صاعقٍ في تفاوته، ومستندٍ إلى إيديولوجيا استعلائيّةٍ لا يتمّ الإقرارُ بها. إنّها إيديولوجياً تَسْتوجب أن نهاجمها، ولكنْ علينا قبل كلّ شيء أن نُوضح أنّ ذلك هو واقع الحال.

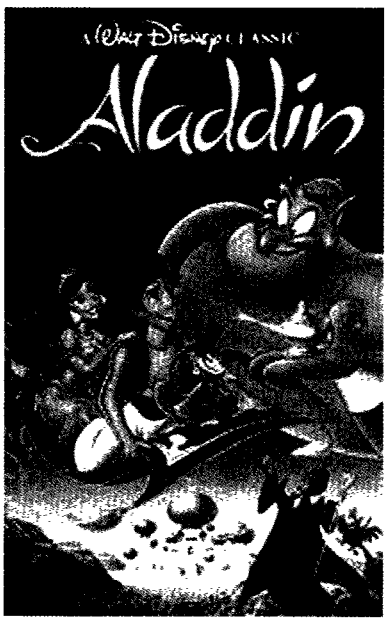

هوليوود تؤبلس العرب: علاء الدين من أرض «البرابرة!»

إنتِ كاتبة. تكسبين عيشَكِ بالكلمات. ما هو رأيُكِ لو استُعيض عن كلمة «مستوطَنة» بكلمة «مستعمَرة»؟ أسيقدّم ذلك إيضاحًا أكبر وفَهْمًا أفضلَ لما يجري في فلسطين؟

ذلك سيساعد بشكل هائل. في التاريخ الأميركيّ يتحدّثون عن الروّاد والمستوطِنين. ومن وجهة نظر الأميركيّين الأصليّين [«الهنود الحمر»] فإنّ اختيار هاتيْن الكلمتين أمرٌ إشكاليّ. ولكن أنْ نَحْصر حديثَنا في المستوطَنات، وأن نَنْزعَه من سياقِ خريطةٍ ترينا ما يجري فعلاً ومَنْ يَمْتلك الماءَ والكهرباءَ حقّاً، فذلك ليس أمرًا مضلِّلاً فحسب بل إنّه أيضًا خداعٌ محسوبٌ بدقّة وهو يتمّ على حساب شعبٍ فقيرٍ جداً. لقد ذكرتَ للتوّ أنّ معدّل دَخْل المواطن الإسرائيليّ سنوياً حوالى ١٨ ألف دولار، ولا أَعْتقد أنّ دَخْلَ المواطن الفلسطينيّ سنوياً يتجاوز ألفيْ دولار. الفرقُ شاسع، إذن. والأمرُ الوحيد الذي يُمْكنني أن أفكّر فيه لكي أضع ذلك في السياق الصحيح هو جنوبيّ أفريقيا. فلْنَنْظرْ إلى الفوارق في الثروات وفي المداخيل هناك، ولنقابلْها بالفوارق الماثلة الموجودة في إسرائيل والأراضي المحتلّة. الفارق الكبير هو أنّنا في ما يخصّ إسرائيلَ والأراضي المحتلّة مسؤولون [كأميركيّين] عن تلك الفوارق، في حين أنّنا لسنا مسؤولين عن الفوارق في جنوبيّ أفريقيا. أنا لم أُحسّ يومًا أنّني مسؤولة بأيّ شكلٍ من الأشكال عن الأپارتايد، وإنْ أحسستُ أنّني مسؤولةٌ عن الاشتراك مع أيٍّ كان من أجل التخلُّص من هذا النظام العنصريّ. ولكنّني أَشْعر أنّني مسؤولة عمّا يجري للشعب الفلسطينيّ في الأراضي المحتلّة، لأنّه كان يستحيل أن يَجْري من دون أموال ضرائبي.

ما رأيكِ في الفكرة التي تقول إنّ الفلسطينيّين يَدْفعون ثمنَ اللاساميّة الأوروبيّة؟

لقد طلبتُ من الحاخام مايكل ليرنر المجيءَ إلى صفّي الربيعَ الماضي. وكان قد أُعْطِي مساقًا بعنوان «تاريخ اليهود بدءًا من مصر.» فَخَطَر في بالي سؤال: «ما تراه حَصَلَ بالنسبة إلى علاقة إسرائيل بألمانيا؟» ففي الإعلام السائد الذي يغطّي أمورَ إسرائيل وهمومَها الأمنيّةَ اليوم، تَسْمع عن الهولوكوست، ولكنّك قد تظنّ أنّ الشعب الفلسطينيّ **هو** مَنْ ارتكب الهولوكوست بحقّ الشعب اليهوديّ! أعتقد أنّ هناك شيئًا بالغَ الغرابة هنا. لا أَفْهم حقّاً كيف يكون بمقدور الناجين من الهولوكوست أن يَقْفزوا من فوق الأشخاص الذين خَلَقوا ونفّذوا هذه المحارقَ، ليحطّوا على شعبٍ زراعيّ أساسًا، وبذلك الشكل المتطرّفِ من الحقدِ والأبلسة. إنّ هذا مظهرٌ آخر من البِنْية العنصريّة للمسألة بأكملها: فالفلسطينيُّون والعرب لن يكونوا بيضًا أبدًا؛ ومعظمهم مُسْلمون. وقد أَضْحى الإسلامُ [في أميركا] إيديولوجيّةً بغيضةً.

صدر كتاب جديد لجاك شاهين بعنوان العرب الأشرار في السينما. وفيه يتحدّث عن كيف تُؤَبْلِس هوليوودُ العربَ. فهؤلاء يصوَّرون في أفلام مثل «أكاذيب حقيقيّة» و«دلتا فورس» إرهابيِّين متعطِّشين للدماء.

أَشاهدتَ فيلم «علاء الدين»؟ لقد كان صادمًا حقّاً. إنّه فيلم للصغارِ من إنتاج ديزني. لم أَسْتطع أن أصدّق أنّ الناس لم يَخْرجوا من صالات السينما ثائرين.* في ما يلي كلماتُ إحدى أغاني هذا الفيلم: «آه، جئتُ من أرض / من أرض بعيدة / فيها تطوفُ الجِمالُ / ويَقْطعون أُذُنَكَ / إنْ لم تعجبْهم هيئتُك. / إنّها لبربريّة، ولكنْ تلك هي بلادُنا!»

إنّ هذا لَهُوَ مظهرٌ آخر من البنية العنصريّة لهذا الوضع، وأنا أريد أن أسمّيه «حالةَ طوارئ.» أَعْلم أنّه يَحْدث منذ وقت طويل وأنّه سيستمرّ بعدي. ولكنّها حالةُ طوارئ بالنسبة إلى العائلات الفلسطينيّة التي تعيش في المناطق المحتلّة اليوم، كما بالنسبة إلى أولئك الذين لا يَسْتطيعون أن يعيشوا على الأرض التي أُجْبِروا على مغادرتها... وأَعْتقد أنّها حالةُ طوارئ أيضًا لأنّ حَجْمَ الظلم هذا يجعلني آمل أن يشكّل حالةَ طوارئ **لجميع** الناس تقريبًا. أترانا نَنْتظر أن يُقْتل جميعُ الفلسطينيّين الباقين في الأراضي المحتلّة أو أن يَهْجّروا؟ متى نقول ـ وأنا أَتحدّث عن الأميركيّين ـ «توقّفوا»؟ متى؟ ماذا يكون ثَمَنُ قولنا هذا؟ إنّ هذا أمرٌ يخيفني كثيرًا لأنّ ما يَحْدث غيرُ واضح. إنّه «حلٌّ نهائيٌّ»** يتكشّف تباعًا.

إنّكِ تَستحضرين تشبيهًا خطيرًا للأمور. وأنتِ تَفْعلين ذلك بوعي تام!

هذا صحيح. ولهذا قلتُ «يتكشّف.» انظرْ إلى السياسة الإسرائيليّة في اغتيال القادة الفلسطينيّين بشكلٍ منهجيٍّ، قادةٍ تَعْتقد إسرائيلُ أنّهم في يومٍ ما قد يسبّبون إشكالاً لها. ليس ثمّة أيُّ محاكمة، وليس ثمّة أيُّ إدانة دوليّة فعّالة.

هذا ليس دقيقًا. فأوروبا كانت صريحةً [في إدانتها اغتيالَ الناشطين].

قلتُ «فعّالة،» بحيث تُلغي قرارَ الولايات المتحدة. هذا ما أَعْنيه بـ «فعّالة.» فحين يُطْرح أمرٌ على التصويت يمارسُ ممثّلو حكومتنا حقَّ النقض (الفيتو) ضِدّ مشاعر الإدانة ـ وهذه ليست مشاعرَ فقط. وأَعْتقد أنّ الناسَ غاضبون في أماكن أخرى من العالم. ولكنّ لدى أميركا القوّةَ على الإسكات أو التجاهل، مع تمتُّعها رغم ذلك بالحصانة. وهذا يَعْني أنّ فحوى الغضب وما سبّبه هذا الغضبُ سيستمرّان مع الحصانة.

ولكنّي جدُّ متفائلة. فهناك أعدادٌ متزايدة من اليهود الأميركيّين الذين يَدْعونَ إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيليّ. وآمل أن يتزايدوا بسرعة كبيرة. أتمنّى أن تعي أعدادٌ متزايدةٌ من اليهود الأميركيّين أنّ من مصلحتهم أن يتحرّكوا الآن لكي يتوقّف التماهي المتنامي بين اليهود والإسرائيليّين، وبين هؤلاء والسياساتِ الإسرائيليّة. وإلاّ فسوف تكون هناك عواقبُ معاديةٌ للسّاميّة لا أعتقد أنّ أيّاً منّا سيستطيع تحمُّلَها حقّاً. في صفّي هذا الفصلَ الدراسيّ صادفتُ عداءً للساميّة بشكلٍ غيرِ متوقّع. لقد صُدِمتُ تمامًا. فقد أدركتُ، حين كنتُ أحاول أن أعالج الموضوع، أنّني ـ كما قلتُ للحاخام ليرنر ـ سأفعل ما في وسعي لكي أقول: «ليس كلُّ اليهود على هذا النحو، وليس كلُّ الإسرائيليّين على ذلك النحو.» ولكنْ ليس لي، أنا الشاعرةَ السوداءَ في النهاية، أن أقوم بذلك. لم أَكُنْ أَشْتبه أبدًا، وإنْ مجرّدَ اشتباهٍ، في وجود عداء للساميّة في جامعة كاليفورنيا في بيركلي حتى حلول هذا الربيع. إنّ عداءَ اليهود أمرٌ حيّ. وإنّه لخبيثٌ. ومصدرُه هو تلك الكارثة المستمرّة في الشرق الأوسط...

كاليفورنيا

أنا مسؤولة عمّا يجري للشعب الفلسطينيّ لأنّه كان يستحيل أن يجري من دون أموال ضرائبي

* ـ أصدرتْ عدّةُ منظمات عربيّة أميركيّة إدانةً لهذا الفيلم، وقاطعتْه، ودعت إلى سَحْبه من التداول. (م)

**ـ تعبير شاع لوصف مذابح النازيّين ضدّ اليهود. (م)